لقاء قناة العهد بالدكتور إبراهيم الجعفري
2011/3/28
(العراق والإصلاح بعد تظاهرات 25 شباط)

المقدم: كيف تنظر إلى العملية السياسية بعد المظاهرات الأخيرة المطالبة بالإصلاح؟

الجعفري: العملية السياسية مرّت بمخاض عسير، واستغرقت وقتاً، وتطلبت جهوداً مكثفة لا لشيء إلا لإصرار الحكومة على أن تستوعب في إطارها العام أكبر عدد ممكن من القوى السياسية، وهذا كان طبعاً باستحقاقات ومن استحقاقاته الوقت الطويل، وزيادة عدد مقاعد الوزراء عدداً ما كان متوقعاً، إذ نيّف على الأربعين لأجل أن تتحقق عملية المشاركة الوطنية، وقد أنجز الكثير، وبقيت بعض المقاعد شاغرة، وأتمنى أن يتم ملؤها خصوصاً الوزارات الأمنية، وهناك شيء ملحق بالحكومة وهو المجلس الوطني للسياسات الاستراتيجية، وهو جزء من الحكومة ويتطلب جهداً.

المقدم: هل كان السبب هو إشراك جميع الطيوف السياسية في الحكومة؟

الجعفري: بالتأكيد، لو كانت القضية مجرد التوافر على الحد الأعلى البرلماني المقبول لإقرار الحكومة لما تطلّب الأمر هذا الوقت الطويل، لكن كان هناك إصرار وهذا شيء جيد على الرغم من أنه كلفنا وقتاً وجهداً.

المقدم: بماذا ينعكس كثرة الوزارات؟

الجعفري: يمثل المستوى الذي يتمتع به الساسة العراقيون عموماً، وطريقة فهمهم للمشاركة منها، ومنشأه الحرص على المشاركة بالحقائب الوزارية، فأنا لا أفهم المشاركة إلا بالحقيبة الوزارية؛ لأن المشاركة الحقيقية هي في صناعة الواقع العراقي والتراتبية الوزارية والتراتبية الإدارية، وليس بالضرورة أن تكون وزيراً أو أكثر من وزير حتى تقول أنا أشترك في الحكومة، من يشترك في الحكومة هو مشارك، ومن لم يشترك بالحكومة يمكن أيضاً أن يكون مشاركاً ومشاركاً فعالاً، وإن لم يكن في الوزارة، في المديريات العامة وفي أي موقع من المواقع، حتى لو كان عضو برلمان، وهناك أعضاء برلمان هم مشاركون.

المقدم: البعض يسمي مشاركة الأطياف السياسية في الحكومة بالمحاصصة السياسية، وانعكس سلباً حسب رأيهم على تشكيل الحكومة بما يوفر الخدمات للمواطن؟

الجعفري: أنا أشاركهم إلى حد كبير هذا الإحساس، نعم هو محاصصة، ولا نستطيع أن نزيّن المصطلح، المحاصصة أقصت الكفاءات، والصفقات السياسية أتت على الأكفأ لأنه لا يوجد له ظهير من أصحاب الكتل، والبلد بأمسّ الحاجة له.
فإذا أبعدنا المحاصصة عن إدارة الدولة ستكون الخيارات هي البحث عن الأكفأ فالأكفأ من دون تقييد، أما أن تكون في إدارة الدولة محددات من قبيل أن تكون وزارة ما لكتلة ما فهذه تسبّب لنا خسارة كبيرة.

المقدم: مسألة المحاصصة السياسية لم تترك خياراً لرئيس الوزراء لاختيار الأكفاء من الوزراء، باعتبار أن الكل مشتركون في العملية الانتخابية، ومن ثم هناك استحقاق انتخابي يعود عليهم في ترشيح بعض الأسماء لتولي بعض الوزارات؟

الجعفري: إن يد رئيس الوزراء ليست مبسوطة، وخياراته محدودة، والأكفاء من الوزراء كثيرون، لكن المشكلة هي تقيُّد هؤلاء بالمحاصصة، وعندما تكون يدا رئيس الوزراء مغلولتين فليس من الإنصاف تحميله مسؤولية لا تتناسب مع تخويله.

المقدم: متى يخرج العراق من المحاصصة؟

الجعفري: متى ما اطّرد النمو السياسي والوعي السياسي الجديد الذي بدأ الآن يشكل بنية تحتية، ومنه الخطاب الرائع الذي دخل في المعادلة، وولادة التظاهرات والتعبير عن حقوق الشعب والتأشير على مواطن الخلل، هذه كلها بوادر طيبة ونقطة انطلاق جديدة، ومن ثم لم تتحوّل الطائفية إلى ثقافة وكان الشعب هو الرافض لها، كما رفض الإرهاب.

المقدم: هل أفهم من كلامك أنك مع المظاهرات الأخيرة، التي خرجت للمطالبة بالإصلاح وتقديم الخدمات؟

الجعفري: أنا مع مبدأ التظاهر، وقد كنت صريحاً؛ لأن فيها تتمظهر إرادة الشعب على شكل جماهير غفيرة.

المقدم: بعض الجهات حاولت توجيهها إلى بعض الجهات؟

الجعفري: قد يكون هناك بعض الخلل في المتظاهر، أما مبدأ التظاهر فهو مبدأ صحيح، الإمام علي (عليه السلام) قتله واحد يصلي صلاة الجمعة، اخترق صفوف المصلين، لكن هذا لا يعني أن تسقط تظاهرة الصلاة، نحن نشجب المخترق، أما التظاهرة فتبقى لها سياقاتها ولها أهدافها، وأعتقد أن المتظاهرين يدركون جيداً أنهم قد تخترقهم بعض الصفوف؛ لذلك بقيت منظومة التظاهرة بصورة عامة وشعاراتها بصورة خاصة وطنية ببوصلة واحدة، وتريد أن تؤشر على مواطن الخلل، وتشير إلى الإصلاح، ومحاسبة المقصّرين، وقطع دابر الفساد.

المقدم: إذن موقف التحالف الوطني واضح من مظاهرات العالم العربي؟

الجعفري: نعم.. نحن نساند المظاهرات بصورة عامة مادامت تتحرك في إطار المصلحة الوطنية، ومادامت تريد أن تغيّر الأنظمة، وتحكم إرادة الشعب، ومادامت تريد تطبيق الدستور، وإزالة ظواهر الفساد المختلفة، ليس في ذلك ضير، إن لم يقتُل الشعب كلمته، فمن الذي يقولها عنه؟!
أعتقد أن هذا هو الأصل وهو الطبيعة، وأن هذا رصيد لكل وطني في أي موقع من المواقع، ويجب أن ينظر إلى التظاهرة على أنها قاعدة عريضة يستطيع أن يقف عليها بأقدام ثابتة، ويستعين بها في مكافحة الفساد.

المقدم: أغلبية الأنظمة التي سقطت، والتي لاتزال تشهد مظاهرات واحتجاجات في بلدانها كانت تساند النظام المقبور في قمع الشعب العراقي.. كيف تعلّق؟

الجعفري: هذه المواقف ما كانت تخلو من الازدواجية في حقيقتها، أتذكّر أن هذه الأنظمة كانت تساند الشعب العراقي في مرحلة المعارضة، وكنت أسمع ما يقولون عن صدام، وبعد ذلك أخذ البعض منهم يتباكى عليه حين سقط نظام حكمه وحزب البعث. نعم.. إن كنتم تحبون حزب البعث، فلماذا لا تسمحون له بأن يفتح مكاتب له في عواصمكم، أنا أعتقد أن هناك حسابات سياسية، أو حسابات مسيَّسة بتعبير أدق.
بصراحة هم ضاقوا ذرعاً بالعملية الديمقراطية التي حصلت في العراق، التي سبّبت استفاقة للعالم العربي، حين قرع العراقيون طبول الحرية، أيام المعارضة عام 1991 في الانتفاضة الشعبانية، التي امتدت إلى أربع عشرة محافظة، ثم قرعت، وإذا بصناديق الاقتراع، وإذا المرأة تدخل في البرلمان، والطبقة الفقيرة المثقفة الواعية تأخذ تراتبية معينة، وتشق طريقها بغضّ النظر عن الملاحظات في تفصيل العملية الديمقراطية والانتخابية، المهم أن هنا انعطافة سياسية، فاستيقظ العالم على

وجود شيء اسمه حقوق الإنسان، وشيء اسمه حرية، لا يمكن الإنكار بأن في العراق حرية تعبير عن الرأي.
المقدم: كان الشعب العراقي متلهفاً جداً لعودة المعارضة إلى العراق وتأسيس حكومة لا تقوم على الظلم، الآن باتت هناك فجوة كبيرة بين السياسيين العراقيين وبين الشعب، كيف تعلّق على هذا؟

الجعفري: أنا لا أصنّف المعارضة، ولا رجال الحكم على أساس الخارج العراقي والداخل العراقي، أنا أرفض هذه الثنائية، ليس كل من خرج من أرض العراق خرج عن القضية العراقية، ولا كل من بقي في أرض العراق بقي في عمق القضية العراقية، هذا المفهوم الأول، أنا اتصور أن من يخرج عن قضيته، ويهجرها حتى وإن بقي في أرض العراق، هو خارج عن القضية العراقية، وبعض الناس الذين هاجروا إلى الخارج هجروا كل شيء إلا القضية العراقية، وبقيت في وجدانهم؛ فكانوا يعيشون الوضع السياسي العراقي بكل وجدانهم وعقلهم وقلبهم، وهذا لا أستطيع أن أسميه خارج، وإلا لما هاجر أنبياء الله، وكل أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأغلب القادة السياسيين هاجروا، إنما نحن أمام تقسيم جديد، من هو بمستوى الهمّ، ومن ليس بمستوى الهمّ، ويوجد من يحمل هموم البلد، ويحمل هموم قضيته، ومتفانٍ من أجل شعبه، ويستخدم ما لديه من طاقات لخدمة شعبه، من دون أن يستخدم شعبه لخدمة نفسه، فالقضية في العمق أخلاقية، وما من قائد سياسي استطاع أن يصل إلى أهدافه من دون أن يكون له وقود أخلاقي.

المقدم: طالما قلتَ: إن المنصب هو تكليف وليس تشريفاً..

الجعفري: بالتأكيد، من يستمد شرفه من الموقع، سيفارق شرفه بمفارقة الموقع، إذن نحن لسنا أمام تصنيف يسمى عراقيي الخارج وعراقيي الداخل، بالعكس نحن نستطيع أن نستفيد ممن بقي في العراق؛ لأنه يحمل الهموم والمواكبة والثقافة اليومية لما حل بالعراق؛ ولا نستطيع في حاضرنا أن ننفصل عن تاريخنا، كما أننا نستفيد من الذين كانوا في الخارج عندما أثبتوا أنهم وطنيون، ونستفيد من تجاربهم؛ لأن الخير في رحم الهجرة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مهاجراً، وكل أنبياء الله كانوا مهاجرين، فأنا أعتقد أننا لسنا أمام ثنائية متخاصمة بل نحن أمام ثنائية متكاملة، وما أجمل أن يأتي المهاجر، ويكمل، وينقل لنا ما هو صحيح وصواب، ونستفيد من المعاناة التي أفرزها أبناؤنا وأعزاؤنا هنا في الداخل العراقي، لكن يبقى السؤال لو سُمِح لي أن أعيد صياغته:
لماذا هذا الطموح الكبير الذي عُلّق على الكثير من الشخصيات، وبدا الآن وكأنه يتلكأ؟
أعتقد أن هناك تحديات كبيرة جداً، فبناء الدولة ليس كهدمها، وعندما تكون معارضاً تستهدف إسقاط نظام ذي آلياته الخاصة لعل إسقاطه أسهل من البناء أصعب.

المقدم: هل توافقني الرأي بأن العراق ليس لديه خزين استراتيجي للأمن الغذائي في حال حدث أي مكروه أو إغلاق أي خليج أو سُدت المنافذ الحدودية؟

الجعفري: يعرّضنا لمشكلة بكل تأكيد، لكن الجهود مبذولة، وهناك عولمة بتوفير الغذاء، لأضرب لك مثالاً من وحي التجربة: في عام 2005 تصدينا للحكومة، وكانت مخازن الغذاء فارغة في عدة محافظات، والاتصالات كانت مستمرة معنا مباشرة في الموصل والنجف، ولا توجد مادة طحين، فخلال فترة قصيرة وضعنا خطة لاستجلاب واستيراد الطحين في أقرب وقت ممكن، وتعاملنا مع السفن التي كانت راسية في البصرة، وحللنا المشكلة، وتعاملنا مع أستراليا لاستجلاب الطحين، فعندما سلمنا الحكومة الحالية بدورتها السابقة سلمناها خلال ثمانية أشهر مشحونة بالطعام، في العالم اليوم عولمة بكل شيء، فلا يوجد خوف في هذا الجانب، طالما يوجد إخلاص، كما أن لدينا موازنة ضخمة تقدّر بـ80 مليار دولار، لكننا نأمل أن يتطور الإنتاج العراقي، ويحقق اكتفاءً ذاتياً، ويبدأ ميزان المدفوعات بالعمل لصالح العراق.

المقدم: عندما كُتِب الدستور كان هناك 25 عضواً إبان مجلس الحكم، والدستور في وقتها كان ضرورة مُلحة جداً، والآن نشاهد مطالبات كثيرة بتعديله، لماذا برأيك؟

الجعفري: ليس ذلك غريباً، فلا يوجد دستور في العالم ليس عليه ملاحظات منذ التأسيس، فالدستور الأميركي بدأ عام 1776، وانتهى في عام 1789؛ حتى يكتب الدستور الأميركي احتاج ثلاث عشرة سنة، ومنذ أن كُتب الدستور الأميركي حتى عام 1971 تعرّض للتعديل ستاً وعشرين مرة.

المقدم: ما أبرز التعديلات التي يمكن إجراؤها على الدستور؟

الجعفري: مثلاً: الفرق بين النظام الرئاسي والنظام البرلماني، وعدم توقف قرارات البرلمان إجماع رئاسة الجمهورية، فضلاً عن وجود مفارقات كثيرة يفترض أن تُعدّل، وقد يوجد شيء ليس خطأ لكنه صحيح في ظرفه، وفي الظرف الآخر يجب تغييره.
توجد جدلية بين الظرف والدستور، الدستور يصنع ظرفاً والظرف يصنع دستوراً. الشعب يتطور، وتطوره ينعكس على البنى الفوقية، والبنى الفوقية فيها شق تنظيري، وهو البرلمان والدستور، وفيها شق تنفيذي وهو الحكومات، لذلك كلما تتطور التجربة السياسية تنعكس على البنى الفوقية تنظيراً وتنفيذاً، دستوراً برلماناً وحكومة.

المقدم: إذن الدستور غير مقدَّس، ومن ثم يتغير حسب الحاجة؟

الجعفري: المقدس غير قابل للنقاش، فالكتب السماوية مقدسة وغير قابلة للنقاش، أما الدستور فليس مقدساً، فهو قابل للنقاش، لكنه غير قابل للخرق، بدعوى أن عليه ملاحظات، فلذلك اصطلح عليه بالحرم، أفترض أن هناك مادة في الدستور عليها تحفظات هذا لا يبرر خرقها، إنما التحفظ يبرر إبدالها.

المقدم: كان لك خطاب في جامعة الدول العربية، وقلت: من يزايدنا على المقاومة، نحن أبناء المقاومة، من هذا المنطلق كيف ترى المقاومة الإسلامية؟

الجعفري: طبعاً ظروف الخطاب في ذلك الوقت كانت ظروف تحدٍ، وأنا أتجه نحو المنصة سألت نفسي: ما هي التحديات الموجودة، وما هي الأشياء التي أصدح بها، فترتبت في ذهني بعض المفاهيم، واحدة كانت منها كامن المقاومة، فالمقاومة من؟ الذي يسفك دماً؟ لا.. المقاوم هو الذي يرفض، ومستعد لأن يضحي بحياته من أجل أن يقاوم، فرجعت إلى تاريخنا بسرعة، وكل تاريخنا مقاومة وكل حاضرنا مقاومة. نحن أعطينا المقاومة استحقاقاتها؛ لذلك قلت أنا مقاوم مبدئي، مقاوم صاحب أخلاق وصاحب وفاء، ومقاوم يحترم الإنسان الآخر، ولا يغدر به، هذه هي المقاومة الحقيقية، فعندما نعرّف المقاوم بأنه صاحب مبادئ وقيم وملتزم، ويستهدف احتلالاً رابضاً على شعبه، أو يستهدف إزالة دكتاتورية.

المقدم: هناك تسريبات إعلامية حول بقاء القوات الأميركية إلى ما بعد 2011 بماذا تعلق؟

الجعفري: عندما سمعت بذلك اشمأززت كثيراً، لذلك قلت في 2008/5/17 وفي 2008/5/31: إنها لطخة عار على جبين العملية السياسية، والآن ما آلت إليه الأمور لم تكن كما كتبت في بواكيرها الأولى وفي مسودتها الأولى، فقد تطورت كثيراً، لكن يبقى التواجد الأجنبي في أي بلد من البلدان ليس علامة قوة بل علامة ضعف، ولا يوجد تواجد أجنبي مقبول ومرحّب به. فأميركا كانت دولة محتلة من قبل بريطانيا، ورفضت ذلك، وحررت نفسها من الاحتلال البريطاني.
أنظر إليها من زاوية ميدانية أمنية، والتحديات، وأعتقد أن القوات الأمنية العراقية أثبتت أنها قطعت شوطاً جيداً، والعملية السياسية تضطرد نحو الأفضل، فلا توجد هناك حاجة، ولا يوجد قلق على العملية السياسية، فالمبررات انتهت، ولا يشرّف أي بلد وجود قوات أجنبية فيه، ثم لا تستطيع أن تفكك بين التواجد الأمني والعسكري والإملاءات السياسية، فهذه كارثة.. نحن بلد يميل، ويتطلع إلى حسم هذه القضايا.

المقدم: هل يشاطرك السياسيون هذا الرأي؟

الجعفري: نعم.. يوجد من يشاركني هذا الرأي، وعلينا أن نصنع ما نراه صواباً، ويجب أن نصنعه.

المقدم: هل ترى هناك إجماعاً حول هذه المسألة في التحالف؟

الجعفري: لا يوجد شيء اسمه إجماع، نحن نفكر بالمجموع، في كل حزب وفي كل حركة وفي كل عائلة، لا يوجد شيء اسمه إجماع، يوجد شيء اسمه مجموع، الغالبية هذا رأيهم، عندما نحقق غالبية فقد بدأت حركة القطار، هناك مجموعة لا تقتنع، نحن بدورنا نحترمهم، ويجب أن نفكر دائماً في أن نكون مجموعاً؛ حتى نكون قدر القرار لا نكون القرار كله، لكن نكون قدر القرار.

المقدم: دائماً تقول إن المشتركات بين القوى السياسية كثيرة، وتقول تعالوا نجمع المشتركات، ونترك الخلافات جانباً من أجل مصلحة العراقيين؟

الجعفري: لا أحد يزعم ذلك، بصراحة كان بإمكاننا أن نقطع أشواطاً أطول، ونسدي خدمات أكثر، ولو أننا أجدنا فن التعامل مع المشتركات، لشعرنا أننا في انتماء جديد، اسمه انتماء وطني، بغض النظر عن الانتماءات الفرعية المحترَمة.

المقدم: كنتم دائماً تجتمعون في المعارضة من أجل إسقاط النظام وأغلبية الكتل السياسية برئاساتها كانت في المعارضة، وكنتم يداً بيد.

الجعفري: أن تفكر وأنت معارض أسهل من أن تفكر وأنت في سدة الحكم؛ لذا علينا أن نركز على نقطتين، على المشترك لنجذر العلاقة، وعلى التفريق بين فكر الحكم وفكر المعارضة.

المقدم: ما الفرق بين الدولة والحكومة في فكر الدكتور إبراهيم الجعفري؟

الجعفري: الحكومة مؤسسة من مؤسسات الدولة، والدولة دستورياً تعني القاعدة الشعبية، والحكومة والسلطة باللغة الدستورية، والبرلمان، والسيادة، والشعب كلها تشكل الدولة، والحكومة لوحدها ليست دولة، لكنها تلعب دوراً في إرساء قاعدة الدولة.

المقدم: ما هي العقدة من الوصول إلى الشخصيات المؤهلة للوزارات الأمنية، فقد طال الحديث عنها في الشارع العراقي؟

الجعفري: توجد مخاوف موروثة، فالكرد جرّبوا ما فعل الجيش بهم بالسلاح الكيمياوي، والأنفال، والشيء نفسه حصل بالنسبة للوسط والجنوب، ويوجد خوف عند الشيعة من شيء اسمه مخابرات وأمن وأجهزة أمن، يتصيدون حركاتهم وسكناتهم من مكان إلى آخر وحكم بالإعدام بأثر رجعي.
القضية بالجملة عندما يحصل حوار بين السياسيين، وتحصل تطمينات ستزال المخاوف.
لا نريد أن نكرّس الحالة السابقة، ويجب أن نعذر هذه المجتمعيات، مجتمع الكرد ومجتمع الوسط والجنوب، ونعطيهم بعض الوقت، ولا نبادل الطائفية بطائفية، والعنصرية بعنصرية.

المقدم: هل ممكن ان تحل مسألة الوزراء الأمنيين في أقرب وقت؟

الجعفري: بدأت الآن، وأنا أعتقد أنها ليست بحاجة إلى وقت طويل:
ليس كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
أعتقد أنها لا تحتاج إلى أكثر من أسبوعين من اللقاءات.

المقدم: هل تعتقد أن المستقبل مشرق للعملية السياسية على الرغم من التجاذبات السياسية على منصب أو على وزارة معينة؟

الجعفري: على الرغم من حداثة التجربة السياسية العراقية، فأنا أعتقد أنها الآن متصدرة، إذ إن المرأة بدأت بأخذ حجم في البرلمان، وستأخذ أكثر وأكثر في البرلمان والحكومة.
وكذا الإخوة الذين يشكلون مكونات الشعب العراقي من أبناء الديانات موجودن الآن في الحكومة، ولو قرأنا تجارب العالم المتقدم لرأينا على سبيل المثال (باراك أوباما) وصل إلى منصب الرئاسة بعد ثلاثة وأربعين جمهورياً، أما نحن فلا توجد لدينا عقدة من ملوّن، ولا توجد لدينا عُقدة من غير المسلم، وليس لدينا عقدة من أحد غير عربي.
أعتقد أن التجربة تتصدر، وقابلة لأن تتصدر أكثر وأكثر، وأن ترتقي، وليتعلم هؤلاء من العراقيين، ليتعلموا كيف يحترمون الآخر، وأن لا يتضايقوا من الآخر، ويتعلموا كيف يحترمون المرأة.

المقدم: ماذا توجّه إلى الحكومة العراقية القادمة وإلى دولة العراق؟

الجعفري: أن تمضي بخطى ثابتة على طريق التصاعد، وأن توظف كل الإمكانات الموجودة، وتنظر إلى العناصر الوطنية الخيرة، وتجد في التظاهرات قاعدة شعبية صاعدة، وتشكل نسغاً صاعداً، وتستفيد منه، وتدرسه، وتكتب تقارير عنه، وتنظر إليه، وتستمد منه عناصر القوة، ولا تخشى منه، وتصارح الشعب، وتتقبل صراحة الشعب.